الملخص

قضية الترادف من القضايا الخلافية في اللغة، تباينت أراء الباحثين والدارسين قديما وحديثا حولها.

ويهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على واحد من أسباب نشوء الترادف في اللغة، وهو: طريقة العرب في تسمية الأشياء، ونزوعهم إلى إطلاق أكثر من اسم للمسمَّى الواحد. وفي توضيح هذا السبب وإلقاء الضوء عليه؛ ما يساعد في فهم الخلاف، وإدراك وجهات النظر المختلفة فيه.

ومن المواضيع التي استلزم الموضوع بحثها: التعريف بالاسم والمسمَّى والتَّسمية، وكيف يرتبط الاسم بالمسمَّى، مع بيان شأن التسمية عند العرب. يتبع ذلك الحديث عن تاريخ نشوء المصطلح، وعرض الخلاف في القضية، وتوضيح موقف كل فريق، ومحاولة الجمع بين الأراء. ثم يأتي بعد ذلك توضيح أثر التسمية في نشوء الترادف اللغوي. وأخيرا الحديث عن حاجة اللغة إلي وجود الألفاظ المترادفة.

وتبيَّن بعد الدراسة: وضوح دور التسمية في نشوء الترادف. وأنَّ الألفاظ المترادفة ترتبط بالمسمَّى لا بالمعنى الدلالي للفظ المُرادف، ويظهر هذا الارتباط من خلال الاستعمال اللغوي، حين يتجاهل المتكلم الفروق الدلالية في الاستعمال اللغوي مالم تكن لها حاجة، فيستعمل الألفاظ المترادفة كأنها كلها بنفس المعنى، وإنَّ الخلاف بين العلماء في هذه القضية قديمًا كان خلافًا حول بعض صور الترادف وليس على وقوع الترادف في اللغة.

Summary

The issue of synonymity is one of the controversial issues in the language. Researchers and scholars have differed opinions about it, in the past and present.

This research aims to shed light on one of the reasons for the emergence of synonymy in language, which is: the way of the Arabs in naming things, and their tendency to give more than one name to the same name. In explaining and shedding light on this reason; This helps in understanding the disagreement and being aware of the different points of view in it.

Among the topics that necessitated discussion of the topic: definition of the name, the nomenclature and nomenclature, and how the name relates to the named, with an explanation of the importance of naming among the Arabs. This is followed by talking about the history of the origin of the term, presenting the disagreement in the case, clarifying the position of each team, and trying to combine opinions. Then comes an explanation of the effect of naming on the development of synonymy. Finally, talk about the need for language to have synonyms.

After the study, it became evident: the clarity of the role of the nomenclature in the emergence of the synonym. And that the synonymous expressions are related to the noun, not to the semantic meaning of the synonymous word, and this link appears through the linguistic use, when the speaker ignores semantic differences in linguistic usage unless

they are needed, and then uses the synonymous words as if they are all in the same meaning, and the disagreement between scholars on this issue in the past was a dispute. About some forms of synonymity and not on the occurrence of synonymity in the language.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

تباينت أراء الباحثين والدارسين قديما وحديثا حول ظاهرة الترادف هل تقع في اللغة أو لا تقع؟ وهم إزائها بين موافق ومنكر، وبين مُغَالٍ ومتساهل فيها.

وكان هذا الخلاف يستوقفني كثيرا، لأنك إذا نظرت إلى رأي كل فريق تجد له قبولا وصحة، فكأن الخلاف لا يتعدى اختلاف وجهات النظر للموضوع، وإلى هذا أشار الجرجاني في تعريفاته حين قال: "الترادف: يطلق على معنيين أحدهما الاتحاد في الصدق، والثاني الاتحاد في المفهوم، ومن نظر إلى الأول فرق بينهما، ومن نظر إلى الثاني لم يفرق بينهما"(١).

وظهر لي بعد التأمل في هذا الخلاف أن للتسمية علاقة بهذا الخلاف من جهة: طريقة العرب في التسمية، ومن جهة أخرى: كثرة الأسماء للشيء على مستوى اللغة الواحدة، وأثارت هذه الملاحظة عندي عددا من التساؤلات:

س: ما العلاقة بين مذاهب العرب في التسمية وبين كثرة الأسماء للشيء الواحد؟

س: هل الترادف مرتبط بالمُسمَّى أو بالمعني الدلالي؟

س: هل يقع الترادف من أصل الوضع اللغوي؟

س: ما حاجة اللغة إلى وجود ألفاظ مترادفة؟

س: متى ظهر المصطلح؟ وما علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي؟

س: هل الترادف يعني التطابق التام أو التقارب؟ وإذا كان يقصد به تقارب المعنيين وتشابههما فلماذا تستعمل الألفاظ المترادفة في سياق واحد بالتبادل بينهما دون أن يؤدي هذا التبادل إلى تغيير قصد المتكلم؟

س: من وافق على وجود الترادف هل غاب عنه حجة المنكر؟ ومن أنكر هل غاب عنه حجة الموافق؟

س: هل من صنف من العلماء أنه مؤيد أو منكر عبر عن رأيه صراحة أم أن ذلك كان اجتهاد من الباحثين في استخلاص الرأي من الكلام؟

وللإجابة عن الأسئلة يفترض البحث عددا من الفروض:

- إنَّ للتسمية، وإطلاق الأسماء على المسميات دور في توضيح هذا الخلاف.
- وجود اضطراب في تحديد مرجع الألفاظ المترادفة، فمره يربط باعتبار واحد ومرة بالمعنى ومرة بالمُسمَّى.
- الاصطلاح على تسمية الظاهرة بالترادف وتأخر ظهور المصطلح دوره أيضا.
- كما يفترض البحث أن لمسألة الاختلاف بين الوضع، والاستعمال إسهام في ظهور الخلاف.

ويقتضي التحقق من هذا الفروض تقسيم البحث إلى ما يلي:

المبحث الأول: التعريف بالاسم والمُسمَّى والتسمية- تحديد المقصود بالأسماء- كيف

(١) التعريفات:٦٥

يرتبط الاسم بالمُسمَّى- شأن التسمية عند العرب.

المبحث الثاني: تعريف الترادف لغة واصطلاحا- علاقة المعني اللغوي بالاصطلاحي- استعرض مختصر للخلاف حول الترادف- الجمع بين الآراء.

المبحث الثالث: أثر التسمية في الترادف.

المبحث الرابع: بين الاثبات والإنكار ماهي حاجتنا إلى الألفاظ المترادفة.

الخاتمة والنتائج.

المبحث الأول: التعريف بالتسمية

الاسم والمُسمَّى والتَّسمية:

اسم الشيء: علامة الشيء. وهو اللفظ الموضوع على الجوهر أو العَرَض، لتَفصِل به بعضه عن بعض، فالجوهر ما كان موجودا في الأذهان كالعلم والإرادة، والعرض ما كان موجودا في العَيان كزيد وعمر[1].

وعرَّفه الراغب الأصفهاني بأنه: ما يُعرف به ذات الشيء وأصله[2]، وجاء في المعجم الوسيط بأنه: ما يُعرف به الشيء ويُستدل به عليه.

وتشير التعريفات السابقة أن الاسم لم يوضَع للفصل والتمييز بين المُسمَّيات فقط، لكنه يؤدي وظيفة أخرى هي التعريف بالمُسمَّى، والاستدلال عليه.

والمُسمَّى: هو الشيء المعلوم المُعيَّن.

والتَّسْمِية: هي فِعْل المُسَمِّى، أي: وضعه الاسم بإزاء الشيء.

المراد بالأسماء في البحث:

بناء على ما تقدَّم في تعريف الاسم فإنه يدخل في هذا المعنى للاسم كل ألفاظ اللغة (أسماء وأفعالا وحروفا)، وهذا المعنى للأسماء ليس غريبا ولا مستحدثا فقد قيل به في تفسير قوله تعالى: وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا

---

[1] نتائج الفكر: ٣٠

[2] المفردات:٤٢٨

عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾} [سورة البقرة: ٣١-٣٤].

قال الراغب الأصفهاني: "{وعلم آدم السماء كلها} أي: الألفاظ والمعاني، مفرداتها ومركباتها. وبيان ذلك أن الاسم يُستعمل على ضربين، أحدهما: بحسب الوضع الاصطلاحي وذلك هو المُخبَر عنه نحو: رجل وفرس، والثاني: بحسب الوضع الأوليّ ويقال ذلك للأنواع الثلاثة المُخبَر عنه والخَبَر عنه، والرابط بينهما المُسمَّى بالحرف، وهذا هو المراد بالآية؛ لأن آدم عليه السلام كما عَلِم الاسم عَلِم الفعل والحرف" (١) و قال السيوطي:"من حجج القائلين بأن الإنسان علم اللغة توقيفا قوله تعالى: {وعلم آدم الأسماء كلها} فالأسماء كلها مُعلَّمة من عند الله بالنص، وكذا الأفعال والحروف، لعدم القائل بالفصل، ولأن الأفعال والحروف أسماء أيضا، لأن الاسم ما كان علامة، والتمييز من تصرف النحاة لا من اللغة، ولأن التكلم بالأسماء وحدها متعذر" (٢) فكل لفظ أُطلِق على معنى من المعاني فهو اسم له.

(١) المفردات: ٢٤٤

(٢) المزهر: ١/ ١٩

ارتباط الاسم بالمُسمَّى:

يرتبط الاسم بمسماه بناء على المواضعة اللغوية فالاسم ينشأ من الحاجة إليه وقد يكتب لهذا الاسم القبول فينتشر، وقد لا يقبل فيموت ويندثر، والمسؤول عن دخول الاسم في دائرة ألفاظ اللغة هو العرف اللغوي.

ولكن إطلاق الاسم على المُسمَّى في أول الأمر يكون باشتقاق لفظ من ألفاظ اللغة ليدل على ملحظ لافت للانتباه في المُسمَّى وإلى هذا أشار الإمام بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ) بقوله: "ن العرب تُراعِي في كثير من المُسمَّيَات أخذ أسمائها من نادر أو مُستَغرب يكون في الشيء: من خلق أو صفة تَخصُّه، أو تكون معه أحكَم أو أكثَر أو أسبَق لإدراك الرائي للمُسَمَّى" (٣) فالمُسمِّي يعطي الشيء اسمه حسب ملحظ لفته في ذلك الشيء، وأسباب هذا اللفت قد تكون الغرابة أو الندرة أو الإحساس باختصاص الشيء بالصفة اللافتة أو كثرتها فيه أو اسبقيتها لإدراك الرائي.

والملحظ اللافت في المُسمَّى قد يكون أحد صفاته، أو هيئته، أو وظيفته، أو أثره، أو مادته، التي صنع منها. وقد يسمى باسم ماله علاقة به كمجاوره، أو مشابهه، أو جزئه.

فمثلا: سُمِّيت (الكعبة) لأن هيئتها لافتة، وهي التكعيب، ولم تكن هذه الهيئة موجودة في بيوت مكة، وتسميتهم للقربة (راوية) لمجاورتها للراوية وهو الجمل الذي يستقى عليه،

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٧٠

وتسميتهم للشاعر المعروف بـ(الأعشى):لأن من صفاته عشى عينيه، و (النابغة):لأن من صفاته اللافتة فيه نبوغه في الشعر متأخرا، وتسمى الحلية التي تلبسها المرأة بـ(الذهب) لأن أبرز ما فيها أنها صنعت من مادة الذهب، ويسمى (الغداء والعشاء والصبوح) باسم مشتق من الغدوة والعشية والصباح لأن الزمن في هذه الأسماء هو ما يميزها عما يقدم من أنواع الأكل الأخرى، ويسمى العبد (رقبة) والجاسوس (عينا) لمكانة هذه الجزء من الكل.

وهكذا تتعد أسباب التسمية مع اشتراكها في كون السبب أمرا لافتا في المُسمَّى.

ونص على هذه الأسباب كثير من العلماء في ثنايا مؤلفاتهم في مجالات متنوعة. ومن ذلك ما صاغه عضد الدين الأيجي فقال: "علم أن الاسم إما أن يؤخذ من الذات، أو من جزئها، أو من وصفها الخارجي، أو من الفعل"(١).

وكذلك قال فخر الدين الرازي: "علم أن الأسماء إما أن تكون من أسماء للذات أو لجزء من أجزاء الذات أو لأمر خارج عن الذات. أما اسم الذات: فإما أن يكون اسما لشخص معين وهو اسم العلم، أو لماهية كلية وهو اسم الجنس ...وأما القسم الثاني: وهو الاسم الدال على جزء من أجزاء الذات فهو كقولنا في الإنسان أنه جسم... وأما القسم الثالث: وهو الاسم الدال على أمر خارج عن الذات فهو الصفات، وهذه الصفات إما أن تكون ثبوتية حقيقية أو ثبوتية إضافية أو سلبية"(٢).

فهما بذلك يوضحان أن التسمية توضع للشيء بناء على ملحظ فيه، وهذا الملحظ إما أن يكون شاملا لذاته كلها، أو يكون متمثلا في جزء من الشيء المُسمَّى، أو في صفة من صفاته.

فالاسم يوضع أولا ليدل على الملحظ اللافت، ثم يصح معبرا عن الشيء كله، وأخيرا يأتي دور العرف اللغوي في تخصيص الاسم بالمُسمَّى.

شأن التسمية عند العرب:

للتسمية شأن عند العرب يتعدى وظيفة التسمية الأساسية وهي تمييز الشيء والاستدلال عليه، فقد كان لهم ميل ونزوع إلى التسمية، ومن مظاهر هذا الميل:

أولا: تنوع مسالك العرب في تسمية أبنائها: يتوخون فيها من المعاني ما يناسب وجهتهم وتقديرهم لأسباب الشرف والعزة والسعادة في الحياة، وحين سئل اللغوي محمد بن عبدالله العُتْبي: " مابَال العرب سَمَّت أبنائها بالأسماء المُستَشنَعة وسَمَّت عبيدها بالأسماء المُستحسَنة؟ أجاب: لأن العرب سَمَّت أبنائها لأعدائها، وسَمَّت عبيدها لأنفسها"(٣).

وقد فَصَّل ابن دريد ما أَجْمَلَه العتبي فذكر أن العرب يختارون لأبنائهم ما يتفاءلون به على أعدائهم نحو غالب وغَلَّاب، وظالم، وعَارم، ومُقاتل، وثابت، ومُسهِر، ومُؤَرِّق،

(١) المواقف:٣/ ٣٠٤

(٢) تفسير الرازي: ٢٢/ ١٤

(٣) الاشتقاق: ٤

ومُصبِّح، وطَارق وغيرها مما يدل على معاني القوة. ونحو: أسد، وليث، وفِراس، وذئب، وسِيْد، وعَمَلس، وضرغام تفاؤلا بصفات القوة في هذه الحيوانات. ومنهم من يختار من الأسماء ما يتفاءل به للأبناء أنفسهم كنَائل، ونَاجٍ، ووائل، ومُدرِك، ومالك ، وعامر، وسعيد، ومن هذا ما أجاب به عبدالمطلب حين سُئل عن تسميته لمحمد صلى الله عليه وسلم، حين قيل له : ما هذا من أسماء أباءك!، قال: رجوت أن يُحمَد في السموات والأرض[١].

ثانيا: كثرة الألقاب: والعرب تميل إلى التلقيب سواء كان لقبا مستحسنا أو مستهجنا، حتى جاء الإسلام بالنهي كراهة لوصف المؤمن بلقب يتأذى منه، قال تعالى: {وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ } [الحجرات:١١] ولذا حث العلماء على تكنية الصغير حتى لا يسبق إليه اللقب فيغلب عليه، جاء في حديث ابن عمر: "بادروا أولادكم بالكُنى قبل أن تغلب عليهم الألقاب"[٢]، وجاء في قصة أبي جعفر محمد بن الحسين:"نا لنُكَنِّي أولادنا في الصِّغَر مَخَافة اللقب أن يلحق به"[٣].

ولشدة عنايتهم بالألقاب يغلب اللقب أحيانا على الاسم فلا يعرف المرء إلا به، وممن غلب عليه اللقب: (هاشم) جد الرسول صلى الله عليه وسلم، لقب به؛ لأنه هشم الثريد لقومه في سنة جدباء، و (قَمَعَة) بن إلياس بن مضر: لقب بقَمَعَة لأنه انقمع في ثوبه حين نُهبت إبل أبيه، و(النابغة) لأنه نبغ في الشعر بعد الأربعين، و(الأحنف بن قيس) لحنف كان في قدميه، والأمثلة كثيرة.

ثالثا: دخول الأسماء في دائرة الاهتمام النبوي: ومن مظاهر هذا الاهتمام حثه على احسان تسمية المولود، ونهيه صلى الله عليه وسلم عن التَّسمِّي ببعض الأسماء ومنها: يَسار ورَباح ونَجِيح وأَفلَح، وتغيير الأسماء التي تعبر عن معانٍ غير محببة، وقد وردت أحاديث كثيرة بَدَّل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من أسماء الصحابة وأسماء أبنائهم إلى أسماء حسنة، فغيَّر اسم حفيديه إلى الحسن والحسين وقد كان علي رضي الله عنه يريد أن يُسمِّيهما حَربًا في كل مَرَّة. وغير اسم بني زِنية إلى بني رشدة، وغير الأسماء التي تدل على عقائد الجاهلية كعبد اللات وعبد العزى.

رابعا: ما ألّف من الكتب ردا على الشعوبية التي انتقصت العرب في التسمية، حيث ألف ابن دريد كتاب الاشتقاق، وألف ابن الأنباري كتاب الأضداد، ولو لم تكن التسمية سمة بارزة عند العرب لما التفتت إليها الشعوبية.

خامسا: كثرة الأسماء للشيء الواحد: يسمون ما يكثر استعماله بين أيديهم، وما يخافونه، وما له أهمية عندهم بأكثر من اسم ليدل كل اسم على حال من أحوال هذ الشيء، وليس أدل على هذا من كثرة أسماء السيف والرمح، والسباع، والدواهي.

---

[١] المصدر السابق: ٨

[٢] نزهة الألباب:١/ ٤١

[٣] المصدر السابق:١/ ٤٢

بل ربما سموا شيئا بعينه باسمٍ علَمٍ عليه، كتسميتهم لسيوف أشخاص بعينهم كـ (ذي الفِقَار) سيف الرسول صلى الله عليه وسلم، و(مجذوب) و (رَسُوب) للحارث بن جبلة الغساني، و(ذو النون) و (الصِمْصَامة) لعمرو بن معد يكرب الزبيدي. و(الخَلِيل) سيف سعيد بن زيد رضي الله عنه، و(العابِس) سيف عبدالرحمن الكلبي، و(العطشان) سيف عبدالمطلب ابن هاشم، و(المصمِّم) سيف عمر بن الخطاب[١].

وأما ما يألفونه ويعتادون عليه من حيوانات فقد خصوهم بأسماء: كـ(سكب) أحد أفراس الرسول صلى الله عليه وسلم، و(أَعْوَج) و(الوَجيه) و(لاحِق) و(داحس) و(حَلاَّب) وهي من كرام الخيل في الجاهلية، ونحو: (ضَمْران) و (كَسَاب) للكلاب[٢].

ويسمون نجوما بعينها: كـ(سهيل) و (الثريا)، و(الجوزاء)، و(بنات نعش).

أو جبالا بعينها: كـ (أبي قبيس) و(قعيقعان)، و(أجا) و(سلمى).

ومن طريف التسمية: تسميتهم أجزاء القوس وأفعالها بموازاة أجزاء الانسان كأنهم خلعوا على هذا النوع من السلاح حياة، فهو رفيق قبل أن يكون سلاحًا فمن أسماء أجزاء القوس: الورك والكبد والكلية والنياط، والأبهر والرِّجل واليد والظفر والنَّعل، وفيها الإنسي والوحشي، وسَمَّوا صوتها جُشَاء، وسَمَّوها الحَنيَّة لانحنائها كأنها تحنُو.

وانعكست هذه الكثرة على المؤلفات اللغوية، ففي مجال أسماء الأعلام نذكر كمثال: كتاب الاشتقاق لابن دريد، وكتاب اشتقاق الأسماء للأصمعي، والمبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة لابن جني، وغيرهم كثير.

وفي مجال غير الأعلام صنفت رسائل وكتب في جمع أسماء الشيء كأسماء السيف، وأسماء الحية، وأسماء العسل أو كتصنيف عام مثل كتاب: ما اختلف لفظه واتفق معناه، وكتب اللغة كالغريب المصنف لأبي عبيد، والمخصص لابن سيدة، المياه والأمكنة والجبال للزمخشري، والتلخيص في معرفة أسماء الأشياء للعسكري، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي.

تطيرهم وتفاؤلهم بالأسماء: وظهرت الطِّيَرة والفأل بشكل واضح في أسمائهم، ففي مجال تسمية الأبناء سَمَّو أبنائهم بحَجَر: يتفاءلون فيه الصلابة والشدة والصبر، وسَمَّو ذِئبا: يتفاءلون فيه الفِطنة والمكر والكَسب، ويسَمُّون: حمارا تفاؤلا بطول العمر والوقاحة والقوة والجَلَد[٣].

وسَمَّو (القافلة) قافلةً تفاؤلا بقفولها سالمة، واللَّدِيغ (سليمًا) تفاؤلا بنجاته، والبَرِّية (مَفَازَةً) لأنها مَهلَكَة تفاؤلا بالفَوز وهو النجاة. وكَنُّوا الأعمى (أبا بَصِير)، والأَسْوَد (أبا البيضاء)

---

[١] القاموس المحيط مادة: خل، عوبس، عطش، صمت

[٢] المخصص ٤: ١٤٢

[٣] ينظر الحيوان: ١/ ٢١٤

كل هذا تطيرا وتشاؤما من معنى اللَّدْغ والهَلاك والعَمى والسَّواد.

والحديث في شأن التسمية عند العرب أوسع من أن يحاط به في هذا المقام.

المبحث الثاني: الترادف

<u>الترادف لغة:</u>

الترادف: اسم بزنة (تفاعل) وتدل الصيغة على التشارك، الراء والدال والفاء أصل واحد مطرد، يدل على اتّبّاع الشيء فالترادف: التتابع[١].

ويستعمل هذا المعنى (التتابع) للتعبير عن تتابع الأشياء على المحل الواحد. روى الأصمعي عن العرب قولهم: نزل بهم أمر فردِف لهم أعظم منه، أي: تبِع الأول ما كان أعظم منه. ويقال لكل شيء تبع شيئا: رِدْف، وهذا أمر ليس له رِدْف أي ليس له تبعة، ويقال لمن يركب خلف الراكب الردف، ويقال لليل والنهار: المرتدف، والرَّديف: النجم الذي ينوء من المشرق إذا غاب رقيبه في المغرب، وأردفت النجوم: توالت، والردافة: أن يجلس الملك ويجلس الرديف يمينه فإذا شرب كان الردف أول من يشرب بعده وإذا غزا جلس في موضعه[٢].

ويفهم من المعنى اللغوي واستعمالاته: أن المقصود بالترادف تتابع الأشياء المختلفة على المكان الواحد، دون اجتماعها فيه.

---

[١] مقاييس اللغة:٢/ ٥٠٣

[٢] الصحاح:٢/ ١٣٦٣

الترادف اصطلاحا:

من التعريفات الاصطلاحية التي ذكرت للترادف:

١- الترادف: عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد[١].

٢- الترادف: توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد[٢].

٣-الترادف: الاتحاد في المفهوم، لا الاتحاد في الذات[٣].

٤- تكثير اللفظ مع اتحاد المعنى الموضوع له[٤].

٥- توارد لفظين مفردين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على الانفراد بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة[٥].

٦- المترادف: هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد[٦]

نلحظ في التعريفات السابقة اختلافا في تحديد الشيء الذي تتابع عليه الألفاظ، فوصف بـ (المفهوم)، و (الاعتبار)، و(الشيء)، و(المعنى)، و(الذات).

إذا قلنا: إن الألفاظ تتابع وتترادف على (المفهوم) و(المعنى) فنحن نربط بين اللفظ ودلالته اللغوية، وإذا نظرنا إلى (الشيء، والذات، والاعتبار) فنحن نربط اللفظ بوجوده الخارجي.

والاختلاف السابق يتفرع عنه الاختلاف في وقوع الترادف فمن نظر إلى الذات عَدَّ الألفاظ من الترادف، لأنه تشترك في الدلالة على ذات واحدة، ومن نظر إلى المعنى لم يصفها بالترادف لوجود فروق بين المعاني.

ويمكن أن تتضح الفكرة إذا عرضنا لمواقف المتقدمين من الترادف واختلافهم حوله

اختلاف مواقف العلماء من الترادف:

تذكر الدراسات أن اللغويين والنحاة تنبهوا إلى وجود ظاهرة الترادف منذ بداية جمع اللغة وإليها أشار العلماء بدء من سيبويه حين صنف كلام العرب باعتبار اللفظ والمعنى إلى ثلاث أصناف، وهي: "اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين والمعنى واحد"[٧] وزاد قطرب (٢٠٦) على كلام سيبويه بقوله: "نما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد، ليدلوا على اتساعهم في كلامهم"[٨] وكتب الأصمعي (٢١٦) كتابا سماه (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه)، والملاحظ على ما ذكر أنهم يصفون ظاهرة لمسوا وجودها في اللغة وهي اشتراك اللفظين في معنى واحد ولم يشيروا إلى تعليل الظاهرة أو بيان موقفهم منها.

---

[١] التعريفات: ٥٦

[٢] مقاليد العلوم: ٦٥

[٣] الكليات: ٣١٥

[٤] دستور العلماء:١/ ١٩٧

[٥] كشاف اصطلاحات الفنون:١/ ٤٠٦

[٦] المزهر:١/ ٣١٦

[٧] الكتاب:١/ ٢٤

[٨] الأضداد: ٨

واستمر الحال وصفيا حتى ظهور الخلاف في القرن الثالث اعتمادا على فكرة وجود فروق دلالية بين الألفاظ وينسب الرأي المخالف إلى: ابن الأعرابي (٢٣١) وثعلب (٢١٩) وابن فارس (٣٩٥) وابن الأنباري (٣٢٨) وابن درستويه (٣٧٤) وأبو هلال العسكري (٣٩٥) ويذهبون إلى التفريق بين الألفاظ استنادا إلى ما يلي:

١- إن أي لفظين أوقعتهما العرب على شيء واحد ففي كل واحد منهما معنى غير معنى الآخر، وهذه الفروق ناشئة من طريقة التسمية للأشياء، فالمُسمَّى واحد لكن الأسماء تتعدد بتعدد اعتبار التسمية، وأن ما يظهر من الترادف بين الألفاظ إنما هو لجهلنا بالفرق بين المعنيين بسبب بعدها التاريخي وعدم معرفتنا به.

وهذ رأي ابن الأعرابي وثعلب وابن فارس وابن الأنباري، ينقل ابن الأنباري عن ابن الأعرابي فيقول: "كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد؛ في كل واحد منهما معني ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله"[١] وجاء في الصاحبي: "ويسمى الشيء بالأسماء المختلفة، نحو: السيف والمهند والحسام. والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد هو السيف، وما بعده من الألقاب صفات. ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معني الأخرى"[٢] وهذا الرأي يعود إلى ابن الأعرابي شيخ ثعلب الذي بدوره نقله إلى تلميذيه ابن الأنباري وابن فارس فهو رأي واحد موافق عليه من أربعة علماء.

٢- السبب الآخر امتناع وقوعه في لغة واحده، لأن هذا يتنافى مع حكمة اللغة في وضع الألفاظ فالحكمة تقتضي أن يكون لكل معنى لفظ واحد، وقد صرح بذلك ابن درستويه فقال:" وليس يجيء شيء من هذا الباب إلا على لغتين متباينتين كما بينا، أو يكون على معنين مختلفين، أو تشبيه شيء بشيء"[٣] وقال أبو هلال العسكري: "وهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني، وعين من الأعيان، في لغة واحدة؛ فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر، وإلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه"[٤].

ما يلاحظ على الخلاف:

أنه خلاف وهمي لم يقع حقيقة فالمثبتون لم يكن غرضهم الرد على من أنكر وكل ما ذكروه يعد من باب التصنيف والتبويب لا من باب دراسة الظاهرة.

أما المنكرون فيتبين من عرض موقفهم أمران:

الأول: أنهم لا ينكرون الترادف كلية، وما

---

[١] المزهر:١/ ٣١٤

[٢] الصاحبي:٥٩

[٣] تصحيح الفصيح:٧٠

[٤] الفروق اللغوية:٢٢

أنكروه كان صورة من صور الترادف وتتمثل هذه الصورة في الترادف التام، أي: أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد بالتساوي من أصل الوضع وفي لغة واحدة.

والأمر الآخر: تفريقهم بين المُسمَّى والمعنى، فهم ينظرون إلى الألفاظ المترادفة كأسماء تختلف في المعنى وتشترك في مسمى واحد، إلا أن كل اسم فيه دلالة مختلفة عن صاحبه.

والسؤال هنا: هل غاب عن العلماء بدء من سيبويه ومن جاء بعده معرفة الفروق اللغوية التي ذكرها من ذهب إلى تضييق مفهوم الترادف كابن فارس والعسكري؟ وهل من حكمة العرب أن تضع للشيء الواحد سبعين لفظا وأكثر؟

لاشك أنه لم يغِبْ عمن سبق العسكري مسألة الفروق اللغوية بين الألفاظ المترادفة، إلا أن الملاحظ على من صُنِّف في فريق الاثبات أنه نظر إلى مسألة الاستعمال، وليس إلى مسألة أصل الوضع، فكثير ما يغيب أصل الوضع في الألفاظ ويبقى الاستعمال، الذي يستغني عن الفروق الدلالية بين الألفاظ – غالبا– لأن لغة الخطاب تعتمد على الموقف، والحال، والإشارة، وتعابير الوجه، وغيرها مما تغني فيه الكلمة عن الجملة والإشارة عن الكلمة في معرفة مقصد المتكلم، ومثل ابن جني لغياب أصل الوضع بقول العرب: "رفع عَقِيرته" إذا رفع صوته "فلو ذهبنا نشتقّ لقولهم [ع.ق.ر] من معنى الصوت لبُعد الأمر جدا وإنما هو أن رجلا قُطِعت إحدى رِجْليه فرفعها ووضعها على الأخرى ثم نادى وصرخ بأعلى صوته فقال الناس رفع عِقيرته أي رِجله المعقورة، قال أبو بكر: فقال أبو إسحاق: لستُ أدفع هذا، ولذلك قال سيبويه في نحوٍ من هذا: أو لأن الأول وصل إليه عِلْم لم يصل إلى الآخِر، يعنى ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل"[1].

[1] الخصائص:١/ ٢٤٩

المبحث الثالث: أثر التسمية في الترادف

كثرة تداول الشيء واستعماله تؤدي إلى كثرة أسماءه، فالتسمية رمز وعلامة واختصار عن ذكر أوصاف المُسمَّى فتقع التسمية على صفة من صفاته أو حال من أحواله، ثم تعمم هذه الصفة لتدل على المُسمَّى ككل، ويظهر هذا واضحا في تسمية الأسلحة؛ فالسيف يسمى بحسب أثره: الحُسَام والفَيصَل، وبحسب بلد صنعه: المهنَّد، وبحسب جِرْمه: العريض والمِهو، والمقام يطول لو عددنا أسباب تسمية جميع أسماء السيف.

ودلالة الألفاظ المترادفة قسمان: قسم مشترك، وهو دلالته على مسمى واحد، وقسم آخر مختلف: وهو كيفية دلالته، أو الجهة التي يُدَلُّ بها على المُسمَّى؛ فقد يُدَلُّ عليه بصفته أو جزء منه أو وظيفته، وغيرها من وجوه التسمية المذكورة آنفا.

فمثلا العبد يسمى: (مملوكا)، ويسمى: (رقبة) تسمية للشيء بجزئه، لكن في الاستعمال يختلف الأمر، فنقول: اشتريت عبدا، ولا يقبل الاستعمال أن أقول اشتريت رقبة، وتقول: هذا مملوك لي، وفي سياق الإعتاق يستخدم اسم (رقبة) فتقول: أعتقت رقبة، وفي القرآن (فك رقبة)؛ لأن السياق يتطلب الإشارة إلى تحرير الرقبة التي تتعلق حياة الشخص بها.

وإذا أخذنا الأفعال: (رمق، نظر، لمح، حدج، شاهد، أبصر، شاهد، رأى)، نجدها تتعلق بشيء واحد هو حركة العين أثناء النظر، لكن لكل طريقة اسم، وكل اسم يستخدم في الموقف المناسب.

والأفعال: (قعد وجلس) تشترك في الهيئة التي ينتهي بها الفعل، وتختلف في كون القعود يكون من الواقف والجلوس يكون من النائم، إذا وصفنا شخصا اتخذ هيئة الجلوس فيمكن أن نقول عنه (قاعد) أو (جالس) يستوي اللفظان، ولكن حين يوصف المرء بعدم قيامه بما يتطلب منه يقال: قعد عن الأمر، قال تعالى: {فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ}[سورة التوبة:٨٣] وقوله:{وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ}[التوبة:٤٦] ولا يقال: جلس عن طلب الشرف، أو جلس عن الجهاد، في حين يقال لمن كان نائما ثم استوى: جلس، فكل فعل يختلف عن الآخر في إفادة الحال التي كان عليها صاحب الفعل.

والبيت يسمى (دارا) لدورانه، و(بيتا) لأنه مكان البيات، و(سكنا) لأن الإنسان يسكن ويطمئن إليه، و(منزلا) لأنه ينزل فيه، وهكذا ويمكن أن تتبادل هذ الألفاظ في جملة مثل: اشتريت منزلا أو بيتا أو دارا، أو مسكنا، ولكنها تختلف لو استعمل كل لفظ منها في الموضع الذي يناسب تلك الصفة، فمثلا قال تعالى في سياق القعود عن الجهاد { وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ}[سورة التوبة:٢٤] لأن معنى السكن مناسب لمعنى حب الإنسان لمسكنه وترجيحه إياه على الجهاد، واستعمل لفظ البيت في مقام آخر فقال: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا

}[سورة النور:٢٧] لأن معنى المبيت يناسب معنى الاستئذان، والاستئذان أكثر ما يحتاج إليه وقت المبيت حيث لا يَتورَّع عن التَبذُّل في لِبسه وهيئته وذلك أدعى لمنع دخول بيوت الناس بدون استئذان.

فكل لفظ من هذه الألفاظ تكون مترادفة في سياق إذا قصد المُسمَّى الذي تشترك في الدلالة عليه، وتكون غير مترادفة إذا قصد الفرق اللغوي الذي سمى الشيء لأجله.

والأمر الآخر الذي يتعلق بالترادف والتسمية: غياب الفروق الدلالية بين الألفاظ المترادفة فالصلة بين الاسم ومسماه قد تغمض أو تخفى على تقادم العهد وتطاول الزمن حتى تُجهل علة التسمية، ومناسبة الوضع، وتخفى الصلة بينها وبين مدلولها، وقد تبقى الصلة بين الاسم والمُسمَّى واضحة قابلة للكشف بقليل من التأمل، كأسماء الانسان والسماء والجهاد والتقوى والشرف فهي من الأنس والسمو والجهد والوقاية والشرف بمعنى الارتفاع.

فغياب أسباب التسمية يؤدي إلى غياب ما يختص به كل اسم من المعنى، ولا يبقى منه إلا دلالته على المعنى العام كما هو ملاحظ في عصرنا من استعمال أسماء السيوف كلها في سياق واحد بالتبادل بينها، أو استخدام (الحمد والشكر) أو (الشك والريبة) أو (التبيّن والتَّحقُّق).

وقد روى ابن فارس أن هارون الرشيد سأل الأصمعي عن شعر لابن حزام ففسره، فقال: يا أصمعى إن الغريب عندك لغير غريب! قال: يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سعبين اسما؟!" [(١)] تشير القصة إلى أن بعض ألفاظ اللغة تجهل معانيها عند، وإنما تعرف إليها العالم أو اللغوي عن طريق النظر فيما جمع في الرسائل والكتب.

(١) الصاحبي:٢٢

المبحث الرابع: بين الاثبات والإنكار ماهي حاجتنا إلى هذا النوع من الألفاظ

نقصد هنا الترادف الحقيقي لا الوهمي، والترادف الجزئي لا التام، وإلى هذه الحاجة أشار قطرب في نص سابق له أن الألفاظ المترادفة وجدت في اللغة للاتساع في التعبير، ويمكن أن نوضح هذا الاتساع فيما يلي:

-القدرة على الوصف، والتفسير، والشرح، فلا يمكن وصف الشيء بنفسه، أو تفسيره بنفسه وإلا كان كمن فسَّر الماء بالماء، "روى عن أبى زيد الأنصاري أنه قال: قلت لأعرابي ما المحبنطىء؟ قال المتكأكىء، قال: قلت ما لمتكأكىء؟ قال المتأزف، قال: قلت ما المتأزف قال أنت أحمق".

- استخدامها في اللغة الفنية والأدبية التي تسخر كل إمكانيات اللغة للتعبير عن الخيال والصور الفنية المبتكرة، وإذا اضطرت لإعادة معنى ما أو تكراره فلا تعيده بنفس الألفاظ، بل تلجأ إلى الذخيرة اللغوية لتفيد منها في أداء المعنى المكرور بصورة جديدة، فلا يمل السامع من التكرار، هذه اللغة تحتاج إلى الفروق بين الألفاظ المترادفة وبها تستعين في أدائها.

- ويستفاد من الفروق أيضا في اللغة العلمية التي تنشد الدقة والاختصار في الوصف.

- الاختصار في الكلام فإذا كان لكل حال من أحوال الشيء أو صفاته اسم استغنينا عن عبارة الوصف بكلمة واحده هي الاسم فبدل أن نقول نظر إليه بحدة نستخدم: (حدج) ونستعمل (حدَّق به) بدلا من قولنا: وسع أحداقه حين نظر إليه.

الخاتمة والنتائج:

١- من وظائف التسمية التعيين والتعريف والاستدلال على الشيء والاختصار في الألفاظ.

٢-للتسمية دور في نشوء الترادف.

٣-الخلاف بين العلماء حول وقوع الترادف خلاف جزئي حول بعض صور الترادف.

٤-مصطلح الترادف ظهر متأخرا عن وصف الظاهرة.

٥-الفروق الدلالية بين الألفاظ المترادفة قد تتجاهل عن قصد إذا لم يحتج المتكلم إليها، أو عن غير قصد لجهله بها.

٦-الترادف يرتبط بالمُسمَّى لا بالمعنى الذي يدل عليه اللفظ، فلو نظرنا إلى المُسمَّى حكمنا على الألفاظ بالترادف، لأنها تشير جميعا إلى مسمى واحد؛ لكن باعتبارات مختلفة، وإذا نظرنا إلى المعنى فستظهر الفروق الدلالية بين المعاني التي تدل عليها المترادفات.

٧-لا يمكن انكار وقوع الترادف في اللغة لأنها تشترك في قسم من الدلالة ويمكن أن تتبادل في بعض السياقات دون تأثير على مقصد المتكلم، وفي الوقت ذاته لا يمكن أن نقول بتبادل الألفاظ المترادفة في السياقات المختلفة دائما؛ لأن فيها قسما من الدلالة مختلف، وهذا الاختلاف مقصود من واضع اللفظ.

٨-الترادف ينتفي في السياق.

المراجع:

كتاب التعريفات

علي بن محمد الشريف الجرجاني، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان– الطبعة: الأولى:١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.

المفردات في غريب القرآن

أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت– الطبعة: الأولى:١٤١٢هـ

نتائج الفكر في النحو

أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى:١٤١٢هـ–١٩٩٢م.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى:١٤١٨هـ–١٩٩٨م

الكتاب: البرهان في علوم القرآن

بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى:١٣٧٦هـ–١٩٥٧م

مفاتيح الغيب = التفسير الكبير

أبو عبد الله محمد بن عمر، الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة:١٤٢٠هـ.

كتاب المواقف

عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الأيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى:١٩٩٧م.

الاشتقاق

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى:١٤١١هـ–١٩٩١م.

نزهة الألباب في الألقاب

أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى:١٤٠٩هـ– ١٩٨٩م.

المخصص

أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى:١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

الحيوان

عمرو بن بحر، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية:١٤٢٤هـ

معجم مقاييس اللغة

أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار

الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة:١٤٠٧هـ-١٩٨٧م

معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم

عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب – القاهرة / مصر- الطبعة: الأولى:١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية

أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت

دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون

القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة الأولى:١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم

محمد بن علي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت- الطبعة الأولى:١٩٩٦م

الأضداد

أبو بكر، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية، بيروت – لبنان-١٠٧هـ-١٩٨٧م

الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها

أحمد بن فارس بن زكريا، منشورات محمد علي بيضون- الطبعة الأولى:١٤١٨هـ-١٩٩٧م

تصحيح الفصيح وشرحه

أبو محمد عبدالله ابن درستويه، تحقيق: محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية [القاهرة]-١٤١٩هـ- ١٩٨٨م

الفروق اللغوية

أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع– القاهرة.

الخصائص

أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة

الكتاب

عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي– القاهرة– الطبعة: الثالثة،١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.